صحافيو العالم المغاربة

طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

حاتم البطيوي يروي حكاية التحاقه بصاحبة الجلالة:

بدأت من لندن وكدت أعتقل خلال تغطية محاكمة الكوميسير ثابت (الحلقة الأولى)

حاتم البطيوي اسم ارتبط بشخصين، الأول هو وزير الخارجية الأسبق محمد بنعيسى، والثاني هو رئيس التحرير الأسبق لجريدة "الشرق الأوسط"، ومن خلالهما استطاع حاتم أن يحقق حلم الطفولة ويعانق مهنة المتاعب ويتعلم أبجدياتها بجريدة العرب الدولية بلندن، حيث مازال يكتب يومياته في عالم الصحافة الورقية.
تجربة البطيوي المهنية والإنسانية غنية وواسعة جدا، هذا جزء منها لصحافي من صحافيي العالم المغاربة الذين حالفهم النجاح.

» حاوره: **يرسف بجاجا**
bajajayoussef@gmail.com

الملك محمد السادس يوشح حاتم البطيوي في ذكرى عيد العرش

← خلال طفولتك هل جال في خلدك أن تكون صحافيا أو بالأحرى هل كنت تتمنى العمل في بلاط صاحبة الجلالة؟

■ الوعي بممارسة الصحافة بدأ يتبلور لدي منذ أن كنت في قسم المتوسط الثاني من السلك الابتدائي، حيث كنت مدمنا على قراءة مجلتي "المزمار" و"مجلتي"، الصادرتين عن دار ثقافة الأطفال التابعة لوزارة الثقافة العراقية . وألفيت نفسي في هذه الفترة أعد لوحدي مجلة حائطية أطلقت عليها اسم "القمرة" نسبة إلى برج القمرة البرتغالي في أصيلة، الذي قضى فيه الملك سيباستيان ليلته قبل أن يلقى حتفه في معركة وادي المخازن بضواحي مدينة القصر الكبير. وكانت المجلة الحائطية تضم عددا متنوعا من مواضيع الثقافة العامة، يجري تحيينها بانتظام، وساهمت في إغناء الأنشطة الثقافية الموازية بمدرسة ابن خلدون، التي كنت أدرس فيها، قبل أن يتطور هذا الوعي الاعلامي السابق لأوانه، ويتحول إلى وعي فني من خلال مساهمتي رفقة ثلة من زملائي في رسم الجداريات التشكيلية التي شكلت أحد معالم مواسم أصيلة الثقافية الدولية منذ انطلاقتها عام 1978، لدرجة اعتقدت أنني سأصبح فنانا تشكيليا، لكنني وجدت نفسي صريع صاحبة الجلالة الصحافة ومغرما بها.

بعد حصولي على شهادة الباكالوريا في أصيلة، حاولت دراسة الصحافة والإعلام في باريس، التي كانت آنذاك عاصمة للصحافة العربية المهاجرة، وسافرت إلى باريس رفقة صديقي وزميلي محمد اولاد محند، الذي كان يرغب آنذاك في دراسة السينما التي أصابه مس منها. لكن المشكلة التي واجهتنا هي أننا لم نقم بتسجيل أولي في السفارة الفرنسية بالرباط للحصول على منحة دراسية في الجامعات الفرنسية، وأذكر أن الأستاذ محمد بن عيسى وزير الثقافة آنذاك وعمدة أصيلة أرسلنا إلى الرجل الثاني في سفارة المغرب بباريس لعله يقدم لنا يد العون بشأن تسجيلنا في الجامعة. يتعلق الأمر بالسيد عبد القادر الجاي الذي أصبح لاحقا سفيرا للمغرب لدى السنغال ثم ناطقا باسم وزارة الخارجية المغربية في عهد الوزير الراحل عبد اللطيف الفيلالي . واستقبلنا الرجل بحفاوة بيد أنه قدم لنا نصيحة مفادها أننا تأخرنا في التسجيل، وكان من المفروض علينا القيام بذلك عبر السفارة الفرنسية بالرباط، وأنه من الأحسن لنا العودة إلى المغرب، وأكل الخبز والزيتون إلى جانب آبائنا أحسن من البقاء هنا من دون منحة حتى لا نتعرض للبهدلة . فكان جواب محمد "أنا أريد أن آكل الخبز والزيتون هنا"، أما أنا فقررت العودة إلى المغرب.

وبالفعل بقي محمد في باريس متنقلا بين قاعات الدرس وقاعات السينما، إذ كلما شعر بالغربة لجأ إلى أقرب قاعة سينمائية. ومرت الأيام وفاز محمد بجائزة أحسن منتج سينمائي شاب في فرنسا قدرها 300 ألف فرنك فرنسي، وهكذا بدأت رحلته نحو الشهرة والنجومية، وتزوج لاحقا بمازارين بينجو كريمة الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتيران، وأنجب منها ثلاثة أبناء.

← ماذا بعد عودتك للرباط؟

■ حاولت أن ألتحق بالمعهد العالي للصحافة في الرباط، وأذكر أنني ذهبت رفقة صديقي الراحل علاء الدين محسن، الذي كان مراسلا لمجلة «الوطن العربي» الباريسية في الرباط للقاء مدير الدراسات في المعهد آنذاك السيد محمد طلال، لكن هذا الأخير كان حاسما منذ البداية، إذ قال إنني لا أتوفر على ميزة مستحسن أو جيد في شهادة الباكالوريا، ولذلك يتعذر تسجيلي طالبا في المعهد.

لقد كنت منذ البداية أحب قراءة الكتب، خاصة المذكرات السياسية والصحف والمجلات، وكنت أحرص على النجاح في دراستي فقط لإرضاء أمي وأبي، وبالتالي فإن ما كان يهمني هو النجاح في نهاية المطاف وليس الميزة.

← هل شعرت آنذاك بأن حلم ممارسة الصحافة قد تبخر؟

■ شعرت بحزن شديد لكنني أقسمت لصديقي علاء الدين محسن لدى مغادرتنا بناية المعهد أنني سأصبح صحافيا . وهكذا تسجلت في كلية الحقوق بالرباط بينما عيني على صاحبة الجلالة، فكنت أكتب هنا وهناك، في بعض اليوميات والمجلات في المغرب وخارجه، ولذلك عشت حياة طلابية منعمة إلى حد ما، فكنت كلما سافرت خارج المغرب، إلى فرنسا مثلا، أنجز حوارات مع مثقفين وفنانين وأنشرها في صحف عربية هنا وهناك أحيانا بمقابل مادي وأحيانا أخرى من دون مقابل مادي. إلى جانب ذلك، فإن والدي الذي كان مدرسا وصاحب مكتبة وراقة صغيرة في أصيلة ساعدني كثيرا في تطوير معرفتي ونموها، من خلال حثي على قراءة الكتب (روايات ومذكرات سياسية) والمجلات والصحف.

كانت مجلة "الوطن العربي" آنذاك "سيدة الصحافة العربية المهاجرة"، فكنت معجبا بها أيما اعجاب، ومعجب أيضا بقراءة عمود "يوميات" للكاتبة الصحافية العراقية السيدة إنعام كجه جي، وشاءت الصدف الرائعة أن ألتقيها وجها لوجه في موسم أصيلة الثقافي السادس عام 1983، واكتشفت أن الكاتبة التي أحب قراءة عمودها هي إنسان من دم ولحم، ومنذ ذلك الوقت صرت أخا وصديقا لها ولزوجها السيد سمير حنا، واستضافاني في منزلهما بباريس، فأقمت بين ظهرانيهما مدة شهر، وبفضلهما تعرفت على العديد من الصحافيين والشعراء والأدباء والتشكيليين والمثقفين الذين شكلت باريس مربط خيلهم، كما تعرفت من خلالهما على عدد مهم من المؤسسات الإعلامية في عاصمة النور. وأود القول إن السيدة كجه جي هي المرأة التي جعلتني مغرما بالصحافة. ومن هنا جاءت رغبتي في دراسة الإعلام بالعاصمة الفرنسية. لكن باريس، بلد الجن والملائكة، حسب تعبير طه حسين في كتابه الرائع "الأيام"، رفضتني لأجد لندن في انتظاري مرحبة.

أما بالنسبة لظروف التحاقي بجريدة العرب الدولية، فتعود إلى غشت 1987 حينما زار الأستاذ عثمان العمير مدينة أصيلة لحضور فعاليات موسمها الثقافي الدولي، فالتقيته لأول مرة بجوار برج القمرة، وأصبحنا أصدقاء منذ الوهلة الأولى. وذات صباح مشمس من صباحات غشت اللهاب ذهبت رفقة الأستاذ محمد بن عيسى (وزير الثقافة) والأستاذ عثمان العمير والأخ والصديق الكاتب الصحافي التونسي حسونة المصباحي إلى شاطئ في ضواحي أصيلة لأخذ حمام شمس والسباحة في مياه الأطلسي الزرقاء.

وأذكر كيف أنني انسحبت تاركا إياهم يتحدثون في قضايا الساعة والثقافة والإعلام، وهرعت للسباحة. وحينما عدت، أخبرني حسونة المصباحي أن علي الحصول على شهادة الإجازة في السنة المقبلة (كنت قد نجحت في السنة الثالثة جامعة) بقوة السيف والسلاح، ولما سألته عن السبب، رد قائلا إنه تقرر أن ألتحق بلندن صحافيا متدربا في جريدة " الشرق الأوسط"، ذلك أن الأستاذ بن عيسى تحدث مع الأستاذ العمير بشأني، وأبلغه أنني أرغب في أن أكون صحافيا، واقترح عليه استضافتي للتدرب في مكاتب " الشرق الأوسط " في لندن، مدة سنة، لألتحق بمكتب الرباط، فوافق العمير على استقبالي في لندن كصحافي متدرب. وهكذا بدت لندن أقرب إلي كثيرا من باريس، حلمي المجهض.

لم أتحدث مع أي كان حول ما سمعته من حسونة المصباحي، وغادر الأستاذ العمير أصيلة لكنني التقيته بعد أقل من شهر في باريس رفقة الراحل الدكتور المهدي المنجرة. ومرت سنة، وفي اليوم الذي حصلت فيها على شهادة الإجازة، اتصلت بالأستاذ عثمان، وأخبرته بأنني تخرجت من الجامعة، وسألته متى أحل بلندن؟ فقال لي في أي وقت تريد، ثم اتصل بي لاحقا وطلب مني أن أمر على مكتب الجريدة في الرباط لأخذ تذكرة سفري إلى لندن. ويوم السبت 16 شتنبر

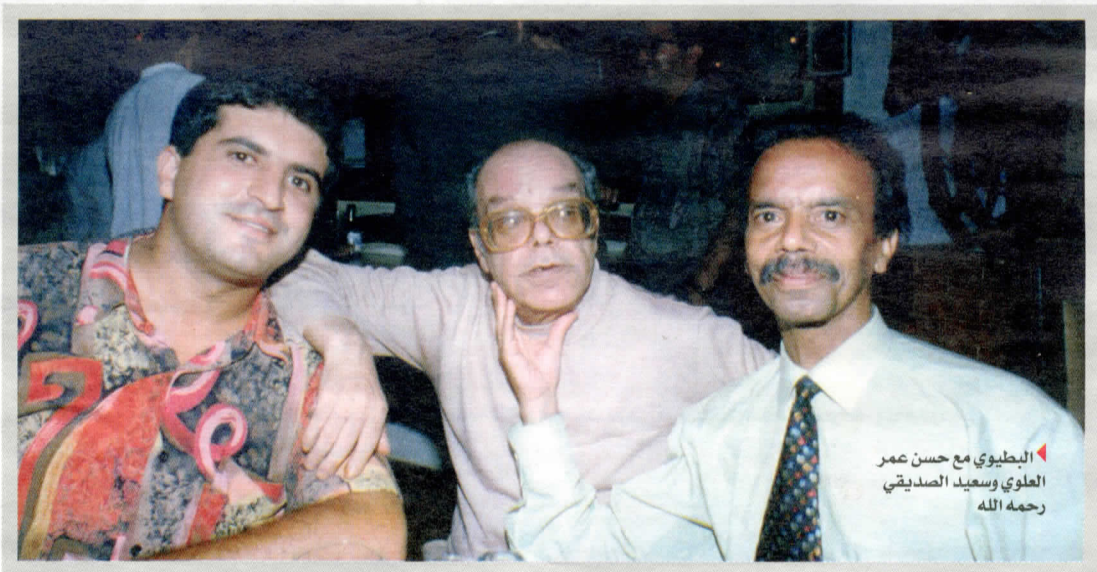

البطيوي مع حسن عمر العلوي وسعيد الصديقي رحمه الله

1989 طارت الطائرة من مطار بوخالف (ابن بطوطة) في طنجة نحو بلاد الضباب، وفي عقلي وأحلامي مشاريع صحافية لا تعد ولا تحصى.

تبقى البدايات من أهم فترات مشوارك الصحافي، وشكلت تغطيتك لمحاكمة "وحش الدار البيضاء" ضابط الاستعلامات محمد مصطفى ثابت، التي شغلت الرأي العام المغربي عام 1993، محطة بارزة في هذا المشوار، وأعرف أنك عشت خلال هذه المحاكمة لحظات مهنية ممتعة، وأخرى مقلقة.

← هل لك أن تقربنا من هذه الأجواء؟

■ بالفعل، لقد كنت محظوظا حينما جرى تكليفي من طرف رئيس تحرير صحيفة "الشرق الأوسط" الأستاذ عثمان العمير، ومدير مكتب الصحيفة في الرباط الأستاذ طلحة جبريل، بتغطية قضية الحاج ثابت، حيث أقمت في مدينة الدار البيضاء طيلة ايام المحاكمة التي كانت مليئة بالمفاجآت والإثارة. اذ استفدت خلالها كثيرا من الناحية المهنية لاسيما من حيث التعامل مع المصادر المتضاربة والأخبار المتناقضة، لكن أهم ما حدث لي في هذه المحاكمة هو ما جرى بسبب نشري لخبر اعتقال مدير الاستعلامات العامة السيد حسن الصفريوي من طرف رجال الدرك والاستماع إليه بشأن قضية ثابت، وجاء العنوان على أربعة أعمدة في الصفحة الأولى "الإعدام لوحش الدار البيضاء واعتقال مدير عام المباحث"، مع عنوان ثانوي "إسدال الستار على الجريمة".

لقد علمت بخبر اعتقال الصفريوي والاستماع إليه من شخص مقرب من عميد الشرطة المركزي الراحل عبد السلام البقالي، الذي توفي في السجن من شدة الغبن والظلم الذي تعرض له. ولقد أبلغني ذاك الشخص بخبر الاعتقال ليس بهدف نشره مثلما أخبرني بأن تعديلات مهمة ستعرفها الإدارة العامة للأمن الوطني، وكان ذلك خلال دردشة جمعتني به أثناء رفع القاضي جلسة المحاكمة للاستراحة، لكن بعد استئناف الجلسة، جلس شخص لا اعرفه بجانبي، ويبدو أنه تقصد الجلوس إلى جانبي،ثم أخبرني من دون مقدمات أن الدرك اعتقل السيد الصفريوي واستمع إليه في قضية ثابت، كما استمع إلى محمد بن تاهيلة مدير ديوان المدير العام للأمن الوطني الوطني، وأن الجنرال عزيز الوزاني لم يعد مديرا عاما للأمن الوطني، وأن الكولونيل ماجور ادريس بنونة من الدرك الملكي يقوم مقامه مؤقتا، وأن قيادات أمنية من بينهم بن تاهيلة، طلب منهم البقاء في بيوتهم.

الشرق الأوسط
الإعدام لوحش الدار البيضاء واعتقال مدير عام المباحث
لحجاج نسهيلات
تكهنات حول تغيير في جهاز الأمن المغربي
أول مقال لحاتم حول قضية الحاج ثابت

آنذاك تفتحت شهيتي لنشر هذه الأخبار لكن على مرحلتين، إذ اكتفيت يوم 15 مارس 1993 بنشر خبر تحت عنوان ("الشرق الأوسط" تتابع قضية وحش الدار البيضاء/تكهنات حول تغيير في جهاز الامن المغربي) تحدثت فيه عن إبعاد الجنرال الوزاني من إدارة الأمن الوطني وتكليف الكولونيل ماجور بنونة الإشراف على الإدارة العامة للأمن، بيد أنني لم أتحدث عن اعتقال الصفريوي من طرف الدرك والاستماع إليه، والاستماع إلى بن تاهيلة أيضا. وبما أن نشر الخبر لم يلق أي ردود فعل سلبية ولم يصدر حوله أي نفي، قررت نشر الخبر المتعلق بالصفريوي وبن تاهيلة في اليوم الموالي، أي 16 مارس 1993.

← كيف كان رد فعل السلطات بعد نشر الخبر؟

■ كنا في الأسبوع الأخير من رمضان، وبما أن "الشرق الأوسط" كانت تطبع باكرا، فقد اقتنيت عدد الجريدة بعد الإفطار، وشعرت بالاعتزاز بهذا السبق الصحفي، وفي نفس الوقت انتابني شعور مفعم بالقلق، وقضيت ليلتي تتلاطمني الهواجس، بل إنني توقعت أن أتلقى مثلا مكالمة من وزير الداخلية القوي آنذاك ادريس البصري، يسمعني فيها ما لم أسمعه في حياتي. وفي الصباح الباكر من اليوم الموالي سافرت إلى أصيلة لحضور اجتماع للمجلس البلدي الذي كنت عضوا فيه. وبالفعل وصلت إلى أصيلة قبل لحظات قليلة من بدء الاجتماع. وبينما كنت أستمع إلى مداخلات زملائي في المجلس جاءتني إحدى الموظفات في مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية حيث عقد اجتماع المجلس البلدي، وأخبرتني أن لدي مكالمة هاتفية تنتظرني، وأن الوزير ادريس البصري على الخط، فجاء كلامها شبيها بـ"دوش" بارد، وتوجهت إلى الحمام لأبلل وجهي بالماء لعلني امتص سخونة ما سأسمعه لاحقا من الرجل القوي. نعم، استبد بي شعور مرعب، لم يتبدد إلا حينما حملت السماعة فوجدت الأستاذ طلحة جبريل (يضحك)، فقلت له : حرام عليك كاد قلبي أن يتوقف عن النبض، فرد قائلا : لو لم أفعل هذا لما أجبت على مكالمتي. لكن المكالمة لم تكن كلها مزاحا، بل كان فيها ما جعلني أعيش أياما في بحر القلق، حيث أخبرني الأخ طلحة بأن الوزير البصري اتصل به فعلا، ولامه وعاتبه بلهجة شديدة على عدم التأكد من الأخبار التي ينشرها، وذكر له الآية الكريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" (سورة الحجرات).

أخبرني طلحة أن اعتقالنا وارد، بحكم أنه المدير المسؤول عن الصحيفة في المغرب، وأنا بصفتي كاتبا للخبر، كما أبلغني أنه أخبر مسؤولي الصحيفة في لندن والرياض بالوضع، كما طلب مني ألا أكشف عن مصدر معلوماتي لأي كان، فقلت له هذا شيء بديهي ومؤكد. وبالفعل فقد حاول بعض الزملاء المقربين من السيد الصفريوي استدراجي للحديث عن المصادر التي زودتني بالخبر فكان جوابي مقتضبا "مصادر مطلعة"، الأمر الذي أثار غيظهم.

قضيت ليلة ذلك اليوم في منزل والدي، وأثارت كثرة الاتصالات الهاتفية التي وردتني ذلك اليوم ارتياب والدتي، وأذكر أنني تلقيت في تلك الليلة مكالمة من صديقي المحامي بهاء الدين الطود المقيم في طنجة، مفادها أنه كان في مأدبة إفطار فيها مجموعة من الأمنيين، وأن ما نشرته كان موضوع حديثهم، وأنهم إذا وجدوني أمامهم فإنهم لن يتركوني أنفذ بجلدي.

أعاد حديث طلحة عن احتمال اعتقالنا شريط ذكرياتي إلى الوراء، يوم استدعيت لأول مرة إلى مخفر الشرطة في أصيلة.

البطيوي مع خوسي لويس ثباتيرو رئيس الحكومة الاسبانية الاسبق وأستاذة الفن التشكيلي إلينا أسينسيو

البطيوي رفقة الراحلين الفقيه البصري ومحمد بنيحيى

البطيوي وبنعيسى والفاسي الفهري و أحمد السنوسي